تابع سلسلة: مختصرات فقهيّة ميسّرة
"١٣"

فصل الخطاب

في

حكم سب الأصحاب

للشيخ/ عبدالله رفيق السوطي

الأستاذ الجامعي وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

مكتبة السوطي

استهلال

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد اتفقت الديانات السماوية على أن خير البشر، وأفضلهم، وأعظمهم، وأزكاهم، وأخيرهم على الإطلاق بعد الأنبياء هم من صحبوا الأنبياء، وآمنوا بهم، وشاهدوهم، ودافعوا عنهم، وماتوا على ذلك، هذا وهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دون نبينا ﷺ في الفضل، والخيرية، والعظمة، بل هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، والغريب أن سائر الأديان يحبون من صحبوا أنبياءهم، ويجلّونهم، ولا يطعنون فيهم إلا ما ظهر في ديننا من قبل الرافضة، وأذنابهم من العلمانيين أو اللادينيين، ومن تبعهم من سفهاء المسلمين.

أصدقاء نبيه ﷺ

ولقد اصطفى الله تعالى لنبيه ﷺ صحابته الكرام عليهم الرضوان، وكرّمهم حين اختارهم لصحبة نبيه ﷺ، وإن أي طعن فيهم، أو تنقّص بهم، أو ازدراء بمنزلتهم، إنما هو طعن وتنقّص وازدراء بالنبي ﷺ الذي جعلهم أصحابه، وأصهاره، وارتضاهم لنفسه أتباعًا، وأصدقاء، ووزراء، وبئس الرجل يصاحب أصدقاء السوء، كيف وهو ﷺ قد قال محذّرًا: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ".

مدح الصالحين منهم لهم

وانظر كيف أثنى أهل الفضل من الصحابة على الصحابة، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ"، وورد عنه أيضًا: "مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فليستنَّ بمن قَدْ مَاتَ؛ فإنَّ الحَيَّ لا تُؤمَنُ عَلَيْه الفِتْنَة، أولَئكَ أصحابُ محمدٍ - ﷺ - كانوا أفضلَ هذه الأمةِ: أبرَّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارَهم الله تعالى لصُحبة نبيه - ﷺ - ولإقامة دِيْنِه، فأعْرِفُوا لَهُم فَضْلَهُمْ، واتْبِعوهم على أثَرِهُم، وتُمَسَّكُوا بما اسْتَطعتُم من أخلاقهم وسِيرهم؛ فَإنهم كَانُوا عَلَى الهُدَى الْمَسْتَقِيم"، وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أراكة يقول: صليتُ مع علي -رضي الله عنه- صلاة الفجر، فلما انفَتَلَ عن يمينه مكث كأنَّ عليه كآبةً، حتى إذا كنت الشمس على حائِط المسجد قِيدَ رُمْح صلَّى ركعتين ثم قَلَب يده فقال: (والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يُشبههم؛ لقد كانوا يُصبحون صُفْراً، شُعْثاً، غُبْراً، بين أعينهم كأمثال رُكَب المِعزى، قد باتوا لله سُجّداً وقياماً، يتلُون كتاب الله، يتراوحون بين جباهم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادُوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم، والله لكأنّ القومَ باتوا غافلين) ثم نهض فما رُئِيَ بعد ذلك مفترّاً يضحك حتى قتله ابن مُلْجَم عدوُّ الله الفاسق)، انظر كل هذا في حياة الصحابة للكاندهلوى (١/ ٢٦).

الطعن فيهم زندقة

وإن أي طعن فيهم رضوان الله عليهم هو طعن، وتكذيب صريح بآيات الله ﷻ، ولرب العالمين سبحانه؛ فقد زكّاهم في كتابه الكريم الذي: ﴿لا يَأتيهِ الباطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلا مِن خَلفِهِ تَنزيلٌ مِن حَكيمٍ حَميدٍ﴾[فصلت: ٤٢]، ولذلك جعل العلماء الطعن فيهم زندقة كما قال الإمام أبو زرعة – رحمه الله – (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله – ﷺ – فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول – ﷺ – عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن، والسنن أصحاب رسول الله – ﷺ -، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب، والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة) مسند ابن راهويه (١/ ٢٧)، ومنهم من حكم عليه بالكفر: "كما رجحه أبو العباس الحسيني الحموي الحنفي" غمز عيون البصائر لأبي العباس الحسيني الحموي الحنفي، ١/٢٩١.

الخلاف في حكم الساب وعقوبته

وقال القاضي أبو يعلى: (الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة: إن كان مستحلًا لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلًا فسق ولم يكفر، سواء كفرهم، أو طعن في دينهم مع إسلامهم، وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة، وكفر الرافضة، قال محمد بن يوسف الفريابي وسُئل عمن شتم أبا بكر قال: كافر، قيل: فيصلى عليه؟ قال: لا، وسأله كيف يصنع به وهو يقول: لا

إله إلا الله، قال: لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته، وقال أحمد بن يونس: لو أن يهوديًا ذبح شاة، وذبح رافضي لأكلت ذبيحة اليهودي ولم آكل ذبيحة الرافضي؛ لأنه مرتد عن الإسلام، وكذلك قال أبو بكر بن هاني: لا تؤكل ذبيحة الروافض).[الصارم المسلول على شاتم الرسول، ٣/١٠٦١].

(وصرّح جماعات بكفر الخوارج المعتقدين البراءة من علي وعثمان، وبكفر الرافضة، الذين كفروا الصحابة وفسقوهم وسبوهم، وكان القاضي أبو يعلى يرى أن من سبهم سبًا يقدح في دينهم أو عدالتهم كفر بذلك، وفي رواية للإمام أحمد أن من شتم أبا بكر وعمر وعائشة ما أراه على الإسلام). [الصارم المسلول لابن تيمية، ٣/١٠٦٤، والصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيثمي، ١/١٤٢].

ويقول شيخ الإسلام بن تيمية: (إنْ سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله تعالى منه كفر إجماعاً بلا خلاف، ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهن حكمه كحكم سب عائشة على الأرجح)، [الصارم المسلول لابن تيمية، ٣/١١٢٢].

حرمانه من الفيء

وقد استنبط الإمام مالك بن أنس أن من سب الصحابة فلا حظَّ له في الفيء، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠]، وقد عده الشاطبي من نوادر الاستدلال في الفقه. انظر: الموافقات للشاطبي،(٣/٣٧٣).

مواقف من تعظيم السلف للصحابة

(رُوي عن عمر أنه جلد ثلاثين سوطًا من خرج على أم سلمة.

وأن ابنه عبيد الله شتم المقداد رضي الله عنه فهمَّ عمر بقطع لسانه، فكلمه أصحاب محمد ﷺ فقال: ذروني أقطع لسان ابني؛ حتى لا يجترئ أحد من بعدي فيسب أحدًا من أصحاب محمد ﷺ.

وإن ابن عبد الرحمن بن أبزى سأل أباه عبد الرحمن فيمن سب أبا بكر ما كنت تصنع به؟.

قال: كنت أضرب عنقه، قلت فعمر؟ قال: أضرب عنقه.

وإن عليًا بلغه أن ابن السوداء تنقَّص أبا بكر وعمر فدعا به وبالسيف فهم بقتله، فكلم فيه فقال: لا يساكني بلدًا أنا فيه، فنفاه إلى الشام.

وانتقل حريم بن عبد الله، وحنظلة، وعدي بن حاتم من الكوفة إلى قرقيسيا، وقالوا: لا نقيم ببلدة يُشتم فيها عثمان رضي الله عنه.

وعن عمر بن عبد العزيز أنه ضرب من شتم عثمان ثلاثين سوطًا.

وكان عاصم الأحول محتسبًا لخلفاء بني العباس، فضـرب من شتم عثمان سبعين سوطًا، في دفعات، وضرب عمر بن عبد العزيز من سب معاوية أسواطًا.

وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول فيمن يسب الصحابة: يُضرَب، وما أراه على الإسلام.

وكان النخعي والسبيعي يعتقدان أن شتم أبي بكر وعمر من الكبائر، وعن طلحة بن مصـرف قال: كان يقال: بغض بني هاشم نفاق، وبغض أبي بكر وعمر نفاق، والشاك في أبي بكر كالشاك في السنة.

ومن الفقهاء عن مالك بن أنس أن من سب الصحابة فلا سهم له مع المسلمين في الفيء، وسُئل إسماعيل بن إسحاق عمن سب عائشة فأفتى بقتله، وقتل الحسن ومحمد ابنا زيد الداعي الطبرستاني اللذان وليا ديار طبرستان رجلين مما قذفا عائشة). شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/ ٤٦٧).

من سبهم يكفينا الله أمره

وما ذلك التعظيم السابق، والزجر الرادع إلا؛ لأنها قد وردت آيات كثيرة جدًا في مدحهم، وتزكيتهم، وتعظيمهم، وثناء الله عليهم، وتعريفه بحقهم، وجلالة قدرهم، وعظمة منزلتهم، رضي الله عنهم، ومن ذلك أن الله عز وجل رد إيمان الأمة إلى إيمانهم فقال: ﴿فَإِن آمَنوا بِمِثلِ ما آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهتَدَوا وَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّما هُم في شِقاقٍ

فَسَيَكفيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ﴾[البقرة: ١٣٧]، ونَعَم والله هذا ما وعدنا الله في من سب أصحاب نبينا ﷺ، وأحبابه أن يكفيناهم الله ﷻ، وقد كان في ما لا تحصى من قصص التاريخ، ولا يزال، وفي هذا الأسبوع فقط الذي أكتب فيه هذا الكتيّب لما سب رافضي من الحديدة عمرَ الفاروق رضي الله عنه، ووصفه بالحمار، ففي ظهر ذلك اليوم دون تأخير أكل الحمار يده، واستأصلها الأطباء بالكليّة، وقد انتشرت هذه القصة في يومها على وسائل التواصل الاجتماعي، ويصدق ذلك ما في البخاري وغيره: عَنْ عائشة - رضي الله عنها - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"، هذا وهو أي ولي، فكيف بالصحابة الذين هم أولى أولياء الله تعالى، وأتقاهم، وأعبدهم... كما سبقت بذلك أقوال ابن مسعود رضي الله عنهما.

الإيمان فيهم ومنهم

وليست الآية السابقة فحسب في وصف الله لهم بالإيمان، بل قد وصفهم جل جلاله بالإيمان، والفلاح في آيات كثيرة في كتاب الله، وفوق هذا فقد قرنهم جل جلاله بنفسه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: ٦٤]، ووصف قوة إيمانهم، وسمعهم وطاعتهم، وقرر فلاحهم وفوزهم بقوله: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَآئِزُون } (النور: ٥١، ٥٢)، وذكرهم جميعًا

بالإيمان من استُشهد، ومن انتظر شهادته، وزكاهم بعدم تبديلهم، ورجوعهم عن عهدهم معه تعالى: {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً لِّيَجْزِيَ اللّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً } (الأحزاب: ٢٣، ٢٤)، بل قال في أجل تعبير عن مدى سكنهم للإيمان كما يسكنون بيوتهم: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩].

رضاه عنهم

ثم قد أظهر الله للأمة جميعـًا رضاه عنهم، وسجّل ذلك لا في سنة نبيه ﷺ وحسب، بل في كتابه الكريم، وفي آيات منه لا في آية وفقط، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح: ١٨]، ففي هذه الآية الكريمة تزكية من الله ﷻ لبواطنهم، وما في قلوبهم، وهذا لا يعلمه إلا الله؛ لذا ترضّى عنهم رضوان الله عليهم لنقاء، وصفاء، وطهارة قلوبهم، وما في ضمائرهم، فكيف يطعن فيهم من لا يعلم حتى ما بنفسه فكيف بنفوس من سبقوه بمئات السنين: {قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة: ١٤٠]!.

نزول السكينة على قلوبهم

وأنزل على تلك القلوب الطاهرة النقية السكينة، التي سوّى تبارك وتعالى بإنزالها بينهم، وبين نبيهم عليه الصلاة والسلام دون فرق، وكفى بها ميزة، فضلًا عن مزية السكينة التي خصهم بها: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [الفتح: ٢٦].

ملازمة التقوى لهم

ولم يكتفِ الله تبارك وتعالى بالسكينة، وإنزالها عليهم، بل جعل التقوى ملازمة لحالهم، وهي دائمًا معهم وفيهم حتى الموت: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا} [الفتح: ٢٦]، ومعنى ذلك أن الجنة لهم ضمنًا؛ إذ الجنة للمتقين: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم: ٦٣]، وليس إرثًا فقط، بل إعدادًا، وتهيئة ربانية لهم: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: ١٣٣]، وقال أيضًا واصفًا لبعض ما أعد فيها: {هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} [ص: ٤٩ - ٥٤]، بل حصر الآخرة بما فيها لهم: {وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٣٥]، وقربها منهم، وأدناها لهم:

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} [ق: ٣١]، وليست جنة واحدة بل جنات: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [القلم: ٣٤]، فماذا نقول، وكيف يجرؤ أحمق على الطعن فيهم، وسبهم، وانتقاصهم، وغمط حقهم رضوان الله عليهم!.

حال جميعهم

ولقد قال تعالى واصفًا لحال جميعهم، وماهم عليه خواصهم، وعوامهم، ذكراهم، وأنثاهم، صغارهم، وكبارهم، رضوان الله عليهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وإني بي بذلك الساب راحم، وعليه مشفق من أن يكون ممن يغيظهم أصحاب رسول الله ﷺ، وللعلم فـقد استـنبط الإمام مالك من الآية السابقة - ووافقه الإمام الشافعي وغيره-: كُفْرَ من يبغضون الصحابة؛ لأن الصحابة يغيظون الكفّار كما أخبر الله، ومن غاظه الصحابة فهو كافر.

خيّريتهم خصوصًا

وقد أَخرج ابن جريج وابن أَبي حاتم عن السُّدِّي في قوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } (آل عمران: ١١٠) قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو شاء الله لقال: "أنتم" فكنَّا كلُّنا ولكن قال: "كنتم" خاصّة في أَصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومَنْ صنع مثل صنيعهم، كانوا خيرَ أمّة أُخرجَتْ للنَّاس). وعند ابن جرير عن قَتَادة رضي الله عنه قال: ذُكرَ لنا أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأَ هذه الآية: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } (آل عمران: ١١٠) ـــــ الآية، ثم قال: (يا أيّها الناس، من سرَّه أَن يكون من تِلْكم الآية فليؤدّ شرط الله منها)، وانظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٢/ ٣٧٦)، نقلًا عن ابن جرير، وحياة الصحابة للكاندهلوى (١/ ٢٤).

تعميم رضوانه عليهم

ولقد قال الله ﷻ معممًا رضاه للسابقين منهم، ومن أتى بعدهم ممن اقتفى منهجهم، وأحبهم، وسار على طريهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقد جعل الله رضاه عن من بعدهم معلقًا بهم، فلولاهم لما كان أي رضًا لمن بعدهم، قال ابن تيمية رحمه الله: "فرَضِيَ عن السابقين عن غير اشتراط إحسان، ولم يرضَ عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان"؛ اهـ، هذا إن قلنا بأن المراد بالتابعين بإحسان من بعد الصحابة، وقيل بل الصحابة الذين تأخر إسلامهم غير السابقين الأولين الذين تقدّموا في بداية الآية.

مسلمة الفتح في حنين

ولم يدعْ ﷻ لأحد مقالًا لا في السابقين منهم، ولا اللاحقين، لا الصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة، ولا من أسلم بعدها حتى لحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى، بل وعد بالجنة جميع من نال فضل صحبة نبينا ﷺ، بغض النظر عن وقت إسلامه، ومكانه، فقال تبارك وتعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١]، وقد استدل ابن حزم بهذه الآية على: "أن الصحابة جميعًا من أهل الجنة؛ لقوله ﷻ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، والحسنى هنا الجنة كما قال غير واحد من المفسرين، والآيات أكثر من أن تحصر هنا، وفيما سبق كفاية لقوم يعقلون: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق: ٣٧].

مسلمة الفتح في تبوك

ومن باب الزيادة فإن مسلمة الفتح كلهم قد ذهبوا للجهاد في غزوة حنين، وبالتالي فقد نزلت السكينة عليهم، ودخلوا بها في جملة المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم: { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } (سورة التوبة: ٢٦)، ثم قد شهدوا معركة تبوك أيضًا، وقد غفر الله تعالى لمن حضرها في قوله: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة: ١١٧].

كبيرة سب عموم المسلمين فكيف بالصحابة!

وإذا كان السب، واللعن، والافتراء، والغيبة... في عموم المسلمين من كبائر الذنوب عند عامة الفقهاء، فكيف بمن جعل سبه، ولعنه... في الصحابة رضوان الله عليهم، وهم من تقدم بعض مناقبهم في كتاب الله تعالى، أما في السنة فما لا يحصى، وفي البخاري ومسلم: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا"، قال الحافظ ابن عساكر: (واعلم يا أخي - وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته - أن لحوم العـلماء - رحمة الله - عليهم مسمومة، وعادة الله في

هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم)، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص ٤٩).

معاداتهم معاداة لله ولرسوله ﷺ

والحقيقة فمن عادى صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد عادى الله تعالى، ورسوله ﷺ، وهذا الله يخبر عن عذابهم، وما أعد لهم، وفي الدنيا والآخرة: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا } [الأحزاب: ٥٧، ٥٨]، وهم خيار المؤمنين كما تقدمت الآيات في ذلك، فمن وصفهم بالنفـاق، أو سبهم، أو انتقص منهم فقد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينا، وفي كتاب الإمامة لأبي نعيم الأصبهاني: (لا يبسط لسانه فيهم إلا من ساءت طويته في النبي – ﷺ – وصحابته والإسلام والمسلمين)، وهو الحق الذي لا مرية فيه، والقول الفصل الذي لا يختلف عليه...

ضحّوا بكل شيء...فأي عقوق هذا!

ثم هل تـتخيّل أن من قدّم نفسه، وماله، وأهله، وكل شيء في حياته، وفتح الشرق والغرب أن يكون منحط القدر، خائنًا لدينه وأمته!، لا والله لا أحسب عاقلًا يعتقد، أو يتفوه لسانه بذلك، ولا والله لولا

صحابة رسول الله ﷺ -بعد الله- لما كان للإسلام ذكر الآن، ولا وجود أصلًا، لا سيما وقد وقعت الردة العامة للأعراب، والإسلام محارب من أعظم إمبراطوريات الدنيا آنذاك.

كل خير فلهم أجره

بل يكفيهم من الخير، والبر، والأجر، والإحسان، والفضل... أن كل مسلم في الأمة من بعدهم حتى آخر رجل في الدنيا يعيش حتى قيام الساعة كل حسنة، وخير منه فهو في ميزان حسناتهم رضوان الله عليهم"مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا" رواه مسلم؛ إذ لو لم يكونوا لما وصل إلينا هذا الدين أصلًا، ولم يكن حتى النبي ﷺ ونشر هذا الدين؛ فما يفعل وحده ﷺ ، وكيف يجاهد، ويصاول، ويدعو... إلا وهم معه بدءًا بالصديق، وعلي، وخديجة، وزيد، كأول من أسلم رضي الله عنهم، وانتهاء بآخر صحابي، فأي عقوق إذن أن يصل بقوم لسب أولئك الذين كانوا سببًا في هدايته، وإخراجه من الظلمات إلى النور، بل من النار.

الطعن فيهم طعن في الأمة

ولا يفوتني هنا أن أذكر أن الطاعن فيهم إنما يطعن في الأمة ككل، ويتهمها عبر قرونها بالضلال، والانحراف، والجهل، والعمى...؛ لأنهم يحبون، ويجلون، ويعظّمون... الصحابة كما عظّمهم الله ورسوله ﷺ،

وقطعًا الأمة معصومة من أن تجتمع على ضلالة، فكيف له ذلك، وأنى له أن يقول، وأي حماقة هذه!.

حديث السنة عنهم، ودفاعها

وهنا أقف عن الحديث عن مدح الله تعالى لهم في كتابه؛ فالأمر قد يطول، ولا تسعني مجلدات لحصرها، وبيانها، وإيضاح مدلولاتها، وأحكامها...، إنما أذهب لأحاديث تعد بالأصابع من مئات تحدثت عنهم رضوان الله عليهم؛ فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"، وعند مسلم: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال ﷺ: "النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ"، كما نهى عن سبِّهم، وحذّر من الطعن فيهم، ففي الحديث المتفق عليه: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ"، وصحح الجمهور حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال ﷺ: " مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا "، وفي حديث صحيح آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: ((لَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي))، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا،

وإذا ذُكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا))، وعند ابن ماجه وغيره: كَانَ ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - يَقُولُ: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ"، والأحاديث هنا لا تحصى، ولا تعد؛ لكثرتها.

وأخيرًا:

أختم بغضـبة واحدة لرسول الله ﷺ لصحابي لمّا أوذي مرةً، والحديث في البخاري نصّه: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ " فَسَلَّمَ، وَقَالَ : إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ : " يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ " ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ : أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ ؟ فَقَالُوا : لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (" إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ ؛ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي ؟ " مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا).

فقل لي بربك يا من تسب صحابة رسول الله ﷺ: هل تستطيع مواجهة غضب النبي ﷺ، وتتحمّله، وهل لك قدرة في مخاصمة

رسول الله على صحابته، ويكون هو خصمك عن صحابته في ذلك، فأسألك بربك ما أنت صانع، كيف ستواجه، وما الحيلة، وهل أعددت للسؤال جوابا صوابا.

ولا والله لا أحسب عاقلًا تجرؤ نفسه لأن يكون خصمه رسول الله ﷺ خير وأفضل وأعظم وأقرب خلق الله إلى الله، بل ربه جل وعلا، ثم أتقى الأتقياء بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالنجاء النجاء.

اللهم إنا نشهدك على حب نبيك ﷺ، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، اللهم فاحشرنا معهم، والحقنا بهم... آمين.

الفهرس

استهلال..... ٢
أصدقاء نبيه ﷺ..... ٢
مدح الصالحين منهم لهم..... ٣
الطعن فيهم زندقة..... ٤
الخلاف في حكم الساب وعقوبته..... ٤
حرمانه من الفيء..... ٥
مواقف من تعظيم السلف للصحابة..... ٥
من سبهم يكفينا الله أمره..... ٧
الإيمان فيهم ومنهم..... ٨
رضاه عنهم..... ٩
نزول السكينة على قلوبهم..... ١٠
ملازمة التقوى لهم..... ١٠
حال جميعهم..... ١١
خيّريتهم خصوصًا..... ١٢
تعميم رضوانه عليهم..... ١٢
مسلمة الفتح في حنين..... ١٣
مسلمة الفتح في تبوك..... ١٤

كبيرة سب عموم المسلمين فكيف بالصحابة! ١٤

معاداتهم معاداة لله ولرسوله ﷺ..... ١٥

ضحّوا بكل شيء...فأي عقوق هذا!..... ١٥

كل خير فلهم أجره.... ..... ١٦

الطعن فيهم طعن في الأمة..... ١٦

حديث السنة عنهم، ودفاعها..... ١٧

وأخيرًا..... ١٨

الفهرس..... ٢٠